التفسير العلمي للقرآن الكريم
بين المؤيدين والمعارضين

إعداد
مجدى عبد الستار أحمد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله.

" يا أيُّها الَذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقاتِه ولا تمُوتُنَ إلاَّ وأنتُم مُسْلمُون " (١) .

"يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الَّذي خلقكُم مِّن نَّفْسٍ واحدةٍ وخلَق منْها زوْجها وبثَّ منْهُما رِجالاً كثيرا ونِساءً واتَّقُوا اللَّه الَّذي تساءلُون بِه والأرْحام إنَّ اللَّه كان عليْكُمْ رقيباً"(٢).

" يا أيُّها الَذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّه وقُولُوا قَوْلاً سديداً * يُصْلِحْ لكُمْ أعْمالكُمْ ويغْفرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ ومن يُطعِ اللَّه ورسُولهُ فقدْ فاز فوْزاً عظيماً " (٣) .

أما بعـــد ،،

" فإن خير الحديث كتاب الله – تعالى – وخير الهدى هدى سيدنا محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " (٤) .

" من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين " (٥) .

اللهم فقهنا فى الدين ، وعلمنا التأويل يا رب العالمين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ونسألك أن تعلمنا من علمك ونستودعك ما علمتنا فذكرنا به وقت الحاجة يا رب العالمين .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلاً ، **وبعد :**

---

(١) الآية (١٠٢) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١) من سورة النساء .

(٣) الآيتان (٧٠ . ٧١) من سورة الأحزاب .

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة أخرجها الإمام أحمد فى مسنده ٣٩٢/١ واللفظ لـه . ورواه البخارى فى صحيحه كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن= =رسول الله ﷺ ٢٥٦/٤ . ط . دار إحياء الكتب بحاشية السندى ورواه الترمذى فى كتاب النكاح حديث رقم ١١١١ وقال حديث حسن . كلهم بألفاظ متقاربة .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين بشرح فتح البارى ١٩٧/١ . ومسلم كتاب الزكاة باب النهى عن المسألة بشرح النووى ٧٦/٣ .

فإن لكل رسول معجزة تناسب قومه ومدة رسالته ، ولما كان الرسل السابقون بعثوا إلى أقوامهم بصفة خاصة ولأزمنة محددة أيدهم الله بمعجزات حسية مثل : عصا موسى عليه السلام ، وإحياء الموتى بإذن الله على يد نبى الله عيسى عليه السلام إذ تستمر هذه المعجزات الحسية بقوتها مدة الزمن المحدد لرسالة كل رسول ، فإذا انحرف الناس وحرفوا فى دين الله بعث الله لهم رسولاً آخر يجدد لهم دينهم وبمعجزة جديدة ، ولما ختم الله الرسالات بالنبى محمد ﷺ ضمن له حفظ دينه وأيده بمعجزة كبرى باقية إلى قيام الساعة تتصف بما يناسب عمومها فى الزمان والمكان ، قال تعالى بعد أن ذكر فى سورة النساء أن الله أوحى إلى رسوله ﷺ كما أوحى إلى غيره من الرسل وأن مهمة هؤلاء الرسل البشارة لأهل الطاعات والإنذار لأهل المعاصى حتى لا تكون هناك حجة للعصاه قال مخاطباً سيدنا محمد ﷺ " **لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ** "(١) .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : فالله يشهد لك بأنك رسوله الذى أنزل عليك الكتاب وهو القرآن العظيم ... ولهذا قال (أنزله بعلمه) أى فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان ، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل مما لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به كما قال تعالى " **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** " (٢).

فما فى القرآن الكريم من العلوم هو من الله تعالى وفيه إشارة إلى تجدد المعجزة العلمية فى القرآن الكريم مع كل فتح بشرى فى أفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بالوحى الإلهى المنزل على النبى ﷺ لذلك قال النبى ﷺ : " ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) (٣)

قال ابن حجر : معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه للعادة فى أسلوبه وفى بلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شىء مما أخبر به ليدل على صحة دعواه فعم نفعه من حضر ومن

---

(١) سورة النساء الآية: ١٦٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٠٥ ، والآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحى ج/١٩٠٥ ح ٤٦٩٦ ط دار ابن كثير اليمامة .

غاب ومن وجد ومن سيوجد)[١] ، قال تعالى " **إِنْ هُو إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعالمِين ولَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بعْد حين** "[٢] .

قال الطبرى : إن الله أعلم المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد ، ولا حد عند العرب للحين لا يجاوز ولا يقصر عنه فإذا كان كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلق الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت[٣]

فلقد زخر القرآن والسنة بأنباء الكون وأسراره) وتفجرت فى عصرنا علوم الإنسان باكتشافاته المتتالية لأفاق الأرض والسماء . فحان الحين لرؤية حقائق العلم الذى نزل به الوحى على النبى ﷺ فكثيراً ما تجلت حقيقة من الحقائق العلمية للباحثين إلا يفاجأوا بتجلى أنوار الوحى الألهى الذى نزل على النبى ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام يذكر تلك الحقيقة فى آية أو بعض آية من القرآن الكريم أو فى حديث من أحاديث النبى ﷺ ، قال تعالى " **سنُرِيهِمْ آياتنا فِي الْآفاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حتَّى يتبيَّن لَهُمْ أَنَّهُ الْحقُّ أَولَمْ يكْف بربِّك أَنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد** "[٤] بلى.

فها نحن على وعد من الحق تبارك وتعالى بأن يرينا آياته فيتحقق لنا بهذه الرؤية صدق النبىﷺ قال تعالى "**وقُلِ الْحمْدُ لِلَّه سيُرِيكُمْ آياته فتعْرِفُونها** "[٥] فالبشرية على موعد من الله متجدد ومستمر بكشف أسرار الكون والإنسان معاً وها هى العلوم البشرية الحديثة جاءت شاهدة بصدق ما أخبر به القرآن الكريم ، لذلك أخترت هذا البحث فجعلته موضع دراستى والذى عنونته (**بالتفسير العلمى للقرآن الكريم بين المؤيدين له والمعارضين**) ولقد جاء على النحو التالى :

أ- معنى التفسير فى اللغة والاصطلاح .

ب - معنى التفسير الموضوعى .

ت - أهمية التفسير الموضوعى وفائدته

---

(١) فتح البارى ٧/٩ باب قوله " قل أعوذ برب الفلق " ط دار المعرفة ، بيروت .

(٢) سورة ص الآيتان ٨٧، ٨٨ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٨٩ ط دار الفكر بيروت

(٤) سورة فصلت الآية : ٥٣ .

(٥) سورة النمل الآية : ٩٣ .

ث – معنى التفسير العلمى .

ج – أهمية التفسير العلمى وأهدافه .

ح – امثلة عليه تبين أهميته فى تجلية جوانب من أعجاز القرآن الكريم

خ – اختلاف العلماء حول التفسير العلمى ثم ملخص آراء المعارضين والرد عليهم.

د – لماذا لم تأت الحقائق العلمية فى القرآن الكريم صراحة ، واكتفى فيها بالإشارة.

ذ– المنهج الصحيح للتفسير العلمى . ثم تأتى الخاتمة وضمنتها خلاصة أقوال العلماء فى التفسير العلمى .

الفقير إلى الله تعالى

مجدى عبد الستار أحمد عثمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة

أ- معنى التفسير فى اللغة والاصطلاح:

كلمة تفسير فى اللغة: يعنى بها؛ الإيضاح، والتبيان، والكشف، وهى مصدر "فسر" ومنه قوله تعالى:﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾[١] أى بياناً وتفصيلاً وإيضاحاً[٢].

قال الزركشى " التفسير " فى اللغة : يرجع إلى معنى الإظهار ، والكشف ، وأصله فى اللغة : من التفسره . وهى القليل من الماء الذى ينظر فيه الأطباء[٣]، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض ، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، وقصصها ، ومعناها ، والسبب الذى أنزلت فيه " [٤] .

قال العلامة الراغب الأصفهانى: " الفسر : اظهار المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول : تفسرة ، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها[٥] .

وأما معنى التفسير فى الاصطلاح : فللعلماء فيه تعاريف كثيرة. نذكر منها :

١- عرفه أبو حيان بأنه : " علم يبحث فيه عن : كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية ، والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات لذلك "[٦] .

---

(١) الآية ٣٣ من سورة " الفرقان " .

(٢) البرهان فى الجواب عن بعض مشكل أى القرآن أ.د/ محمد عبد الحافظ إبراهيم وكيل كلية أصول الدين بأسيوط ص ١١ ط ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) يعنى به عينة البول التى تؤخذ من المريض لتحليلها .

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٤٧/٢ ط/دار المعارف ط دار المعرفة بيروت .

(٥) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط/ دار المعرفة بيروت ٣٨٠

(٦) البحر المحيط . لأبى حيان ١٣/١ ط / مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

٢- وعرفه الزركشي فقال إنه " علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ "[١] .

٣ - وعرفه الزقاني - رحمة الله - : بأنه علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية "[٢] .

وهذا التعريف فيه قيد مهم وهو محاولة بيان مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية لأن المفسر لا يمكنه القطع بأن هذا هو مراد الله تعالى .

ب - معنى التفسير الموضوعي: كان الهدف الأول عند قدماء المفسرين من الصحابة والتابعين تفسير القرآن الكريم تفسيراً تحليلياً يشمل العقيدة والأخلاق والآداب العامة التي جاء بها القرآن لإصلاح النفس وتزكيتها وعلى مر الزمان تشعبت هذه المسائل وتعددت مذاهب التفسير واختلفت مناهجه فكان بعد التفسير بالمأثور التفسير بالرأى المحمود والتفسير بالرأى المذموم ثم جاء التفسير الموضوعي والتفسير العلمي وهما من أنواع التفسير بالرأى وقد يكون محموداً وقد يكون مذموماً حسب ما يمثله من اتجاهات في تفسير كتاب الله تعالى .

فما هو التفسير الموضوعي ؟

معنى التفسير الموضوعي : إن المفسر تفسيراً موضوعياً يعنى بالبحث في الآيات التي تتعلق بموضوع واحد ، وهدف مشترك في القرآن الكريم لبيان ما فيها من معان تتعلق بهذا ومن هنا يمكن أن نعرف التفسير الموضوعي بأنه عبارة عن : جمع الآيات القرآنية التي وردت في موضوع واحد وهي مشتركة في الهدف ، وترتيبها على حسب النزول - قدر الإمكان - وترتيب مكيها ، ومدنيها ، ومحكمها

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١٣/١ .

(٢) مناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقاني ٣/٢ ط الحلبي .

، ومتشابهها ، وناسخها ، ومنسوخها، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ، ومفصلها . ثم وضعها ، وتحليلها ، وتفصيلها ، وفقه معانيها ، وبيان حكمة الشارع فى شرعه وقوانينه مع الإحاطة بجوانب الموضوع ، والكشف عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شبه الضالين والملحدين من أعداء الدين ، أو استخراج موضوع واحد أو أكثر من سورة واحدة والتعمق فى الموضوع المطروح مع الإحاطة بجوانبه للوصول إلى الغاية التى يريدها منزل القرآن ﷻ [١] .

وقد عرفه د/ الشرباصى بقوله : " أن يعمد المفسر أولاً إلى جمع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ، ويفقه معانيها ، ويعرف النسبة بين بعضها والبعض الآخر ، فيتجلى له الحكم ، ويتبين المرمى الذى ترمى إليه الآيات الواردة فى الموضوع ، وبذلك يتسع كل شىء فى موضعه ، ولا يكره آية على معنى لا تريده . كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهى الحكيم ، وهذه الطريقة – فى نظرنا – هى الطريقة المثلى وخصوصا فى التفسير الذى يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية "[٢] .

ت – أهمية التفسير الموضوعى وفائدته :

للتفسير الموضوعى أهمية عظيمة . خاصة فى هذا العصر تيسيراً لأهله وتقريباً للفائدة الشاملة منه ، وذلك لضعف العزائم ، وقلة الهمم ؛ فأصبحت الحاجة ماسة إلى هذا اللون من التفسير ، فحقيق بأن ينال العناية الشديدة من علماء التفسير، وأن يكون شغلهم الشاغل، وذلك لما يلى:

١- هذا التفسير يوجه المسلمين إلى ما يرمى إليه القرآن بصورة ميسرة متكاملة .

---

(١) البرهان فى الجواب عن بعض مشكل أى القرآن د/ محمد عبد الحافظ إبراهيم عون ص ١٦ ط ١٤١٦ هـ /١٩٩٥م .

(٢) نقلاً من المرجع السابق ص ١٧/١٦ .

٢- بهذا التفسير يستخلص المفسر جوانب الهداية الإلهية المكنوزة فى القرآن الكريم فى أحد موضوعاته.

٣- يكشف سر أعجاز القرآن الكريم عندما يتناول المفسر موضوعا معيناً ، ويشير إلى أن هذا الكتاب من لدن رب العالمين.

٤- يقدم مأدبة جاهزة ، متنوعة متكاملة ، فيأخذ منها الداعون الدواء المناسب ،و يعاجلون القضايا ، ويضعون الدواء فى موضع الداء ؛ مما يجعل الطريق إلى هداية المدعوين قصيراً .

٥- هذا اللون من التفسير : يسهل انتشار الدعوة الإسلامية ، وييسر انتشار تعاليم القرآن، لأن الاقتصار على موضوع بعينه ، وتتبع موارده ، ومأخذه فى القرآن كله لتجليه جوانبه كلها ؛ يهيئ للموضوع من العناية والبيان والدراسة ما لا يتهيأ له ولو درس فى أثناء التفسير العام .

٦- إن هذا التفسير : يفسح المجال للدارسين فى شتى التخصصات ليحاول كل منهم تجلية ما يتعلق باختصاصه من القرآن بصورة أعمق مما لو تناوله غيره .

فالفقيه يتناول بالدراسة آيات التشريع ، والأحكام ، والحدود ، وغيرها من الآيات التى تتعلق بالفقه .

وعالم الفلك والفيزياء يهتم بالآيات الكونية . إلى غير ذلك مما يخدم كل فى مجال تخصصه. (١)

ث- معنى التفسير العلمى :

هو التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن الكريم ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها (٢) ، وكذا عرفه الأستاذ أمين الخولى(٣)

---

(١) البرهان فى الجواب عن بعض مشكل أى القرآن د/ محمد عبد الحافظ إبـراهيم ص ٣٣/٣٤ ط ١٤١٦ هـ /١٩٩٥ م .

(٢) التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبى جـ ٢/٤٥٤ ط مكتبة وهبة .

(٣) مفاهيم تجديد أ/ أمين الخولى ط دار المعرفة ١٩٦٨ .

وعرفه د/ عبد المجيد عبد السحتسب بأنه " التفسير الذى يتحرى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد فى استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية [١].

هذان التعريفان متقاربان وإن اختلفا فى بعض الألفاظ ويلاحظ عليهما أمران:

(أ) أن فيهما عبارات يفهم منها التحامل على هذا اللون من التفسير حيث يحكم الاصطلاحات العلمية فى آيات القرآن الكريم فيخضعها للنظريات ... الخ ، وعلى ذلك فكل من يقرأ هذين التعريفين يحكم على هذا الاتجاه فى التفسير بأنه غير جائز لأنه يخضع عبارات القرآن للنظريات العلمية المتغيرة .

(ب) إن هذين التعريفين لا يدلان على الصورة التى يريدها أصحابه – أصحاب التفسير العلمى السليم – إذ أنهم لا يعترفون بأنهم فى تفسيرهم يحكمون الإصلاحات العلمية فى النص القرآنى أو يخضعونه للنظريات العلمية ، وإن كان قد ورقع من بعضهم ذلك وإنما يقصدون خدمة القرآن ببيان وجه من وجوه الإعجاز فيه ، وتقريب فهمه إلى عقول الناس فى وقت ضعفت فيه الملكات اللغوية وغزا فيه العلم كل شئ فى حياة الناس ، قال الدكتور / أحمد عمر أبو حجر : لنا أن نقول فى تعريفه هو التفسير الذى يحاول فيه المنسر فهم عبارات القرآن فى ضوء ما أثبته العلم والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث أنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التى لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن ، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ، ولكنه من عند الله خالق القوى والقدر[٢].

---

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الحديث ص ٢٤٧ ، ط الأولى ١٩٧٣م .

(٢) انظر : هذا الكلام كله فى رسالة دكتوراه للدكتور / أحمد عمر أبو حجر بعنوان : " التفسير العلمى للقرآن فى الميزان " ص ٦٦ ط دار قتيبة .

ج - أهمية التفسير العلمي وهدفه :

لما كان النبى ﷺ خاتماً للأنبياء ورسالته عامة لكل الناس ممتدة عبر الزمان والمكان إلى يوم القيامة . كان لابد أن يناسب هذه الخاتمية ، ويبرهن على عالمية الرسالة . باستمرارية أعجاز القرآن الكريم بعد انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى فى مراحل رقى الإنسان وتحضره من عصر إلى عصر . وبوجوه متجددة تجدد العلوم ؛ ليبرهن على عموم تلك الرسالة ؛ لذلك نجد أن القرآن لم يتوقف أعجازه عند عصر ما ؛ بل امتد عبر القرون، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وأوجه الأعجاز هذه واستمراريتها تهدف إلى :

١- هداية الناس جميعاً إلى الإيمان بالله – تعالى – وأن القرآن ما هوبقول بشر

فكما تحدى القرآن ومازال يتحدى أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بسورة من مثله فعجز الأنس والجن عن ذلك . وكما اهتزت لـــه أحاسيس ومشاعر العظماء والبلغاء – المشركون وغيرهم – عندما سمعوه ، فغشيهم خشية ، ورهبة وأعلنوا أن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

وسجل القرآن الكريم مثل هذه الظاهرة مع أهل الكتاب حيث قال تعالى : ﴿**وإذا سمعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾[1] فكما اهتزت لـــه هذه القلوب وعلموا أنه ليس من قول بشر ، وأنه كلام معجز منزل من رب العالمين اهتزت لـــه – أيضاً – قلوب غيرهم من العلماء المحدثين " المنصفين منهم" عندما يقفون على آية فيها أسرار علمية . فيوقنوا أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من فكر إنسانى محدود وخاصة فى ذاك الزمان البعيد وتلك الفترة الجاهلية التى نزل فيها القرآن على نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب. قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**

---

(١) الآية ٨٣ من سورة المائدة

ولَتَعْلَمُنَّ نبأهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[1] فهذا النص الكريم يشير – كما سبق ذكره – إلى عالمية الرسالة ، وإلى التجدد الدائم لمعجزة القران العظيم . التجدد الذى يجعل كل من يقرأ القرآن فى كل عصر كأنه منزل عليه فى عصره هو . فكم احتوى القرآن الكريم على حقائق عملية كثيرة تعالج أدق القضايا سواء بالتصريح أو التلميح توصل إليها العلم الحديث بعد قرون طويلة من نزوله . وما بقيت مستورة إلا لتكون عند ظهورها إعجازاً عظمياً للقرآن الكريم تشهد له بأن القرآن الكريم كلام رب العالمين ، مما كان سبباً من أسباب اقبال الكثيرين من العلماء المعاصرين إلى اعتناق الإسلام عن قناعة وإيمان قال تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ انَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ .....**﴾ [2].

يقول د/ كارم : الأعجاز العلمى للقرآن الكريم فتح جديد فى مجال إقناع غير العرب وكافة الإنسانية كلها بالقرآن الكريم ، وإثبات أنه من عند الله ؛ فإذا كان القرآن يخاطب كل الناس ؛ فإن الأعجمين أكثرهم ؛ فلابد أن يضاف إلى الأعجاز البيانى ، والبلاغى ، واللغوى مجال آخر هو الأعجاز العلمى الذى يسلك وسائل إقناع الناس الذين هم على غير دراية باللغة ، وليس لهم باع كبير فى فهم جوانب الإعجاز الأخرى فيأتى مجال الأعجاز العلمى فى دعوة هؤلاء إلى صدق الكتاب ، والرسالة ، والحث على اعتناق الدين الإسلامى العظيم .

وفيما يتعلق بالمسلمين ؛ تأتى ضرورة الكشف عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم كخطوة على طريق تجديد إيمان المسلمين به ، وحمايتهم من اخطار الغزوات الفكرية ، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى ذلك ؛ فإن كثيراً من مثقفى اليوم لا يدرون كثيراً عن علم العربية مما يدرك به الإعجاز اللغوى ، والبيانى ،

---

(١) الأيتان ٨٧ ،٨٨ من سورة ص .

(٢) الأية٥٤ من سورة الحج .

ومن هنا تأتى أهمية دور الإعجاز العلمى فى تجديد الإيمان ، وتثبيت قلوب الفتية والشباب عليه[١] .

٢- ويؤكد للناس جميعا أن العلم يلتقى مع الإسلام لقاء الماء المندفع إلى المحيط فيدوب فيه ، وما العلم إذن إلا أداة تعين على فهم بعض المستور من أسرار الكتاب المكنون، وما أودع فيه من علوم ، وهدايات ، فالعلم إذن هو الذى يخدم قضية الإسلام بما يكشف عن جواهر هذا الدين بانسجام تام ، وتعاون وتضافر معجز فى الناحية العلمية ، والناحية الدينية .

٣- بيان أن القرآن الكريم فى مكانة عالية من السمو والهيمنة والأعجاز بإشارته ، وتلميحاته، وتصريحاته، إلى كل ما تبلغه العقول من علوم ، وما تلده الحياة من كل جديد.

من هنا تظهر أهمية هذا النوع من التفسير بما احتواه من أسرار لحقائق علمية تعلى من قدر الإنسان ، وتدفع به إلى درجات السمو ، والفلاح الدنيوى والأخروى.

٤- هذا التفسير نابع من أمر القرآن الكريم له . فأمرهم من خلال آياته بأعمال عقولهم بالتدبر ، والتفكر ، ودعاهم إلى العلم ليصلوا إلى حقيقة الإيمان بالله – تعالى – فيؤمنوا عن يقين كامل .

كما أشار سبحانه إلى أنه سيوقن الكافرين من خلال كشوفاتهم واختراعاتهم العلمية فى آفاق الكون وآفاق النفس البشرية فقال : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق** .....﴾ [٢] .

---

(١) الإشارات العلمية فى القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق د/ كارم السيد غنيم ط دار الفكر العربى القاهرة ص ٢٤٦ .

(٢) الآية ٥٣ من سورة فصلت .

ونلاحظ فى هذه الآية أن الزمن جزء من قضية الإفصاح عن مكنون وأسرار هذه الآيات فكلما تقدم الزمن علمنا المزيد من أوجه المعانى فى القرآن الكريم طبقاً لترقى البشرية فى سلم الزمن . لأن المعجزة القرآنية – كما سبق أن ذكرت –لم تكن موقوته بوقت الدعوة فى تحديها للإنس والجن ، وإنما هى قائمة ما دامت الحياة .

يقول د/ كارم : أن نواحى الإعجاز الموجودة فى الآفاق وفى الأنفس وهى التى تشير إليها لهى مجال خصب وحقل بكر يجب على علماء المسلمين أن يشمروا عن سواعدهم فى الكشف عنها ، ودراستها وإظهارها ، وبالطبع من يستطيع ذلك إلا من تزود وتخصص ، فى العلوم الكونية ، والطبية ، والنفسية ، والمدنية ، والظواهر الفلكية ، والجغرافية ، والجيولوجية ، والحياتية ، وجوانب الإعجاز فى منطق الطير ، والهواء ، والدواب ، و..... إلخ .

ولن يستطيع المسلمون أو غيرهم أن يقفوا على جوانب الإعجاز العلمى فيها إلا بالاستعانة بالعلوم الحديثة ، ونتائج البحوث التجريبية[١] .

ح - أمثلة عامة تبين أهمية التفسير العلمى فى تجلية جوانب إعجاز القرآن الكريم .

المثال الأول : يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ .....﴾**[٢] .

فليس من الصحيح أن علة التحريم فى لحم الخنزير هى ما تناقلته بعض التفاسير من أشياء يمكن الرد عليها ودحضها .

ومنها الرائحة الكريهة ، وأن الخنزير يتغذى على الأقذار ، أو ما شابه ذلك[٣]، ولكن علينا بعد إيماننا بتحريمه ، والامتثال للأمر الإلهى بالطاعة ؛ أن نفهم

---

(١) انظر الإشارات العلمية د/ كارم ص ٢٤٧ .

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة .

(٣) انظر تفسير المراغى ٤٧/٦ ، والتحرير والتنوير المجلد الرابع ٩٠/٦ ، وتفسير المنار ١١١/٦

ما أثبته العلماء المعاصرون من حقائق تفرر أن تحريمه لعلة مستقرة فيه ، وليس لعلة عارضة عليه يحل لحمه بزوالها[١] .

وهذه شهادة لطبيب يهودى يثبت فيها ضرر لحم الخنزير على صحة الإنسان حيث قال : " إن لحم الخنزير ينبغى أن يدرج فى قائمة المؤثرات السامة ذو الفاعلية الخطيرة وأمراض متنوعة الصفات[٢] .

وهذا طبيب نصارى مصرى ينشر مقال فى جريدة الأهرام المصرية بقلم سميرة غبريال تحت عنوان " عضلات جسم الإنسان تئن من مرض جديد ينقل لأعضاء الجسم من لحم الخنزير " [٣].

فأثبت العلم الحديث أن لحم الخنزير بسبب الإصابة بعدة أمراض منها : ١- الدودة الشريطية ، ٢- يزيد من نسبة الكوليسترول فى الدم ، ٣- تسبب الدودة الشريطية فى جسم الإنسان ، ٤- الإلتهاب السحائى المخى ، ٥- الدوسنتاريا الخنزيرية ، ٦ - انفلونزا الخنزير ، ٧ - دودة المعدة القرحية ، ٨ - دودة الرئة الخنزيرية ، وغير ذلك من الأمراض الكثيرة [٤].

المثال الثانى: قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ [٥]

---

(١) الإشارات العلمية د/ كارم ص ١٥١

(٢) انعكاس لحم الخنزير على الصحة للدكتور / هانيس هانيرس ركفاق يهودى الديانة ألمانى الجنسية ٧/٥ ترجمة : مؤسسة بافاريا للنشر والإعلان ، ميونخ ألمانيا ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر .

(٣) جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٨٦/٨/١٢م .

(٤) انظر تفصيل ذلك فى كتاب الإسلام والرعاية الصحية الأولية للدكتور / عز الدين فراج ص ٣٠ . والإعجاز الطبى فى القرآن للدكتور / السيد الجميلى ، ص ٧٠ ، ط دار التراث للطباعة . وانظر الإعجاز العلمى فى القرآن للأستاذ محمد كامل ص ٢٥٧ ، وانظر مدخل إلى الطب الإسلامى للدكتور / على محمد مطاوع ص ٦٦ .

(٥) الآية ١٢ من سورة فاطر .

من البدهى أن بعض الحلى نستخرج من البحر المالح . وقد كان يستبعد الناس أن تكون المياه العذبة مصدراً للحلى – أيضاً – ولكن العلم والبحوث أثبتتا غير ذلك . فاللؤلؤ كما أنه يستخرج من أنواع معينة من البحار فإنه يستخرج أيضاً من أنواع معينة أخرى من صدفيات الأنهار . فتوجد الآلئ فى المياه العذبة فى " انجلترا واسكتلندا وتشيكوسلوفاكيا واليابان " ويدخل فى ذلك – أيضاً – ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة ، كالماس الذى يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة بالبرقة . ويوجد الياقوت كذلك فى الرواسب النهرية فى " موجوك " بالقرب من " بأندلاس " فى " برما العليا " ومن الأحجار شبه الكريمة التى تستعمل فى الزينة ، حجر " التوباز " وهو موجود فى الرواسب النهرية فى مواقع كثيرة ومنتشرة فى " البرازيل وروسيا " .

اتضح إذاً بالكشوف العلمية أن الحلية أصناف ، وأنواع، وأشكال ، وأنها من الماءين " الملح ، والعذب "وليس من الملح وحده كما كان يظن الناس . بل اكتشفوا حديثاً ما أشار إليه القرآن قديماً [١].

المثال الثالث : قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[٢] .

فمن خلال جولة سريعة فى كتب التفسير وضحت لنا تأويلات المفسرين لكلمة " ذرة " فمنهم من قال : بأنها النمل الصغير ، ومنهم من قال : بأنها الهباء . ويقصد بها دقائق الغبار فى الجو وتظهر بوضوح عندما يسقط شعاع الشمس عليها خصوصاً إذا كانت فى حيز مظلم . لكن العلم الحديث يوضح، ويضيف أشياء لم تكن معروفة مطلقاً لهؤلاء المفسرين . فالعلم عرفنا أن الذرة لها مثقال ، وأنها قابلة للإنفلاق ، وأن بها محتويات أصغر منها داخلها وهو ما أشارت إليه الآية القرآنية

---

(١) الإشارات العلمية فى القرآن د/ كارم السيد غانم ص ١٥٧ .

(٢) الآية ٣ من سورة سبأ .

بكلمات ﴿ **ولا أصغرَ من ذلك** ﴾ فالأصغر من الشيء هو محتويات الشيء ، والأصغر من الذرة هو : محتويات الذرة " الكترون والبرتون والنيترون " . حقاً إنه كلام العليم الخبير .

وذكر قوله ﴿ **عالِمُ الْغَيْبِ** ﴾ قبل أن تأتى كلمة "ذرة " يدل على أن الذرة لا تزال فى عالم الغيب. فالإنسان يتعرف عليها بآثارها لكن لم يرها بالعين المجردة أو هى غيب لجل الناس حتى وإن عاينها نفر من الباحثين المتخصصين .

وقال – تعالى – فى آية أخرى :﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ ولاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾[١] .

وفى هذه الآية حرف " من " يدل على محتويات الذرة، وإمكانية انشقاقها، وتجزئتها لأن " من " للتبعيض. [٢]

المثال الرابع: يقول المولى تبارك وتعالى:﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[٣]

فما هى مفاهيم الحفظ الذى يقيمه الله على كل نفس حماية لها ؟ .

إن من مفاهيمه أن الله يحفظنا من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه ﴿ **خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾[٤] . فهو يحفظنا دون أن ندرى من أخطار لا ندركها . ومن معانى هذا الحفظ . أن الله يسخر بعض ملائكته لتسجل علينا أقوالنا، وأفعالنا ليجازينا عنه بما نستحق من جزاء، كما قال سبحانه : ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ** ﴾[٥] ومن معانى هذا الحفظ – أيضاً – أن على كل منا

---

(١) الآية ٦١ من سورة يونس

(٢) الإشارات العلمية فى القرآن بين الدراسة والتطبيق د/ كارم ص ١٥٩ – ١٦٠

(٣) الآية ٤ من سورة الطارق .

(٤) الآية ٦٤ من سورة يوسف .

(٥) الآيتان ١٠ ، ١١ من سورة الانفطار .

رقيب يحفظه من أن يعيث فى الأرض فساداً إلا حين أن يشاء الله أن يجعل بعض الناس فتنة للبعض الآخر .

ومن المعانى والمفاهيم التى اكتشفت حديثاً لهذه الآية وهذا الحفظ أن يقرر العلماء حقيقة وجود كرات الدم البيضاء داخل جسم الإنسان والتى مهمتها الدفاع عن الجسم إذا تسللت إليه الجراثيم الممرضة . وقد اتسعت البحوث عن هذه الكرات ، ووظائفها، ودورها فى هذا الحفظ .

ومن المعانى الحديثة لهذه الآية -أيضاً – وهذا الحفظ ما كشف الأطباء من وجود خطوط دفاعية داخل الجسم تكافح الجراثيم الغازية له . منها مثلاً الشعيرات ، والمخاط فى الأنف إذا تسللت الجراثيم عن طريق الأنف ودمع العين إذا تسللت الجراثيم عن طريق العين ودفاع اللوزتين إذا تسللت عن طريق الفم وغير ذلك كثير[١] .

المثال الخامس : يقول تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ** ﴾[٢] .

فالمعنى العام للآية أن الله – سبحانه – يرينا آياته حيناً بعد حين ، وجيلاً بعد جيل ، وينزل لنا من السماء رزقاً ، ولا يعرف آيات الله العديدة ونعمة الجزيلة ولا يتذكرها إلا من آمن بالله ورجع إليه بالإنابة والمتاب .

ولكن ما المقصود بالرزق من السماء ؟ يقول المفسرون القدامى : إن الرزق المنزل هو : ماء المطر . وهذا فعلاً رزق عظيم يحفظ علينا حياتنا من نبات ، وحيوان ، وإنسان .

ولكن يمكن إضافة معان حديثة على مفهوم الرزق هنا . فمن المعانى الحديثة لهذا الرزق تلك الأشعة الحرارية التى تصلنا من الشمس . فلو انقطعت عنا

---

(١) الإشارات العلمية د/ كارم ١٥٤ ط/ دار الفكر العربى القاهرة .

(٢) الآية ١٣ من سورة غافر .

لماتت جميع الأحياء من شدة البرودة ولتجمدت مياه المحيطات ، والبحار ، والأنهار ، ولو زاد مقدارها لتبخرت مياه جميع الأحياء من شدة الحرارة .

ومن هذه المعانى الحديثة : تلك الأشعة الضوئية التى يترقف عليها النبات فى إمكانية بنائه الضوئى لغذائه الداخلى ، وعلى النبات يحيا الإنسان والحيوان ، وعلى الحيوان – أيضاً – يحيا الإنسان .

ومن هذه المعانى المقصودة – أيضاً – للرزق هو : ذلك الرزق الروحى المعنوى ويتمثل فى الكتب ، والرسالات السماوية التى نزلت على الرسل الكرام لهداية الناس ، وانتشالهم من جهالات ، وظلمات ، وضلالات الدنيا فأحيت قلوبهم ، ونفوسهم[١].

ح- اختلاف العلماء فى جواز هذا التفسير:

تنوعت آراء العلماء فى جواز هذا التفسير وعدمه .

*** الفريق الأول : المجيزون لهذا اللون من التفسير :**

هذا الفريق يجيز هذا اللون من التفسير ويعتبرونه فتحاً جديداً للدخول فى الإسلام ومن هؤلاء :

أولا : إمام المفسرين الفخر الرازى ت ٦٠٦ هـ : صاحب التفسير الكبير والمسمى " مفاتيح الغيب " فقد عرض فى تفسيره مباحث كثيرة تؤكد ميله إلى هذا النوع من التفسير . وذلك حسب ما وصل إليه أهل زمانه فى العلوم الكونية حيث قال فى علة تحريم الميتة : واعلم أن تحريم الميتة موافق لما فى العقول لأن الدم جوهر لطيف جداً فإذا مات الحيوان حدف انفه احتبس الدم فى عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة [٢]. انظر كلامه عند تفسير

---

(١) المرجع السابق .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٣٢/١١ .

قوله تعالى " **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاء** " وهذا على سبيل المثال وانظر أيضاً قوله عند تفسير قوله تعالى : " **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً** ..."[١].

ثانياً : الإمام جلال الدين السيوطى ٩١١ هـ القائل فى كتابه " الأتقان فى علوم القرآن"[٢] فى النوع الخامس والستين " اشتمل الكتاب العزيز على كل شىء . أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات ، والأرض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ... إلى عير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات . قال تعالى ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٤]

وقال أيضاً فى كتابه معترك الأقران فى إعجاز القرآن: إن علوم اللغة وعلوم القرآن والأصول والعقائد والفقه والفرائض ، وسائر علوم الشريعة ، وعلوم التصوف، كلها مأخوذة من القرآن ... وقد احتوى القرآن علوم أخرى من علوم الأوائل من الطب ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة وغير ذلك . أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة[٥] .

ثالثاً : الشيخ الطاهر ابن عاشور : صاحب تفسير التحرير والتنوير مفسر تونسى معاصر وقد ذكر فى مقدمة كتابه التحرير والتنوير رأيه فى " التفسير العلمى " حيث قال فى المقدمة الرابعة طرائق المفسرين للقرآن ثلاث :

---

(١) انظر المرجع السابق : مفاتيح الغيب للفخر الرازى ج ١ ص ١٠١ وما بعدها ، الآية ٢٢ سورة البقرة ، وانظر ج١٤ ص ١١٨ وما بعدها ، الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

(٢) الاتقان ١٦٢/٢ . النوع الخامس والستين .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٤) الآية ٨٩ من سورة النحل .

(٥) انظر معترك الأقران للسيوطى ٢٠/١ تحقيق محمد على البجادى ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

الأولى : الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلى للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل .

الثانية : قد فرع العلماء وفصلوا فى الأحكام ، والآداب، والأخلاق .. فلا يلام المفسر إذا أتى بشىء من تفاريع مما لـــه خدمة للمقاصد القرآنية ولـــه مزيد تعلق بالأمور الإسلامية .

الثالثة : تجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية إما على أن بعضها يؤتى إليه معنى الآية ولو بتلويح .. وأن بعض مسائل العلوم قد تكون أشد تعلقا بتفسير أى القرآن كقولـــه : ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾[1] فإن القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة ، وبين أسرارها ، وعللها بما هو مبين فى علم الهيأة كان قد زاد المقصد خدمة .

وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآنى وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع .. ثم قال – أيضاً – وللعلماء فى سلوك الطريقة الثالثة آراء .

أ- جماعة منهم يرون أن الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وآلاتها ، وبين المعانى القرآنية . ويرون أن القرآن مشير الى كثير منها .

فذهب قطب الدين الشيرازى فى شرح حكمة الإشراق ، والغزالى والرازى، وأبو بكر بن العربى ، وأمثالهم . إلى التبسط وتوفيق المسائل العلمية . فقد ملأوا كتبهم من الاستدلال على المعانى القرآنية بقواعد العلوم الحكمية ، وغيرها . وكذلك ابن جنى ، والزجاج ، وأبو حيان .

فلا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة . ولكن معانيه تطابق الحقائق وكل ما كان من الحقيقة فى علم من

---

(١) الآية ٦ من سورة ق .

العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مراده بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر ، وبمقدار ما ستبلغ ، ذلك يختلف باختلاف المقامات وتوفر الفهم .

وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية ، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً ، ولا خروجاً عن المعنى الأصلى حتى لا يكون فى ذلك كتفسير الباطنية[١] .

رابعاً : الشيخ محمد عبده وهو من المهتمين بإبراز الإشارات العلمية الواردة فى القرآن الكريم . فكان ينقل من أهل التخصصات المختلفة ليشرح ما يراه مناسبا لبعض الآيات بالعلوم الكونية ،.

إلا أن بعض العلماء يأخذ عليه إكثاره من التفسيرات العملية . مما أدى إلى وقوعه فى كثير من الأخطاء ، مثل ما وقع فيه عندما افترض أن نظرية التطور لدارون فى أصل الإنسان يمكن أن يوجد لها تفسيرها القرآنى ، .وعندما اعتبر الحجارة من سجيل هى: نوع من الميكروبات . وهذا فى الحقيقة أو ذاك وما شابهه يخالف الحقيقة القرآنية[٢] .

وقال أيضاً الشيخ محمد عبده عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**إذا السّماء انشقّت**﴾[٣] يقول انشقاق السماء مثل انفطارها ... وهو فساد تركيبها واختلال نظامها عندما يريد الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه ، وهو يكون بحادثة من الحوادث التى قد ينجر إليها سير العالم كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ويحدث من ذلك غمام وأى غمام

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور المجلد الأول القسم الأول ٤٢/١ – ٤٣ .

(٢) تحقيق بمجلة " المسلمون " للدكتور عبد الحليم محمود تحت عنوان التفسير العلمى للقرآن بين المؤيدين والمعارضين . العدد الأول سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ م .

(٣) الآية ١ من سورة الإنشقاق .

يظهر فى مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع ؟ فتكون السماء قد انشقت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره [١] .

وقد انتقده بعض العلماء فى هذا التفسير لحزاب العالم ، فما أصغر أفكار البشر فى شأن مستقبل العالم خراباً أو عماراً فمثل ذلك يجب تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى فهو علام الغيوب[٢].

خامساً : ومن القائلين بالتفسير العلمى أيضاً الشيخ محمد مصطفى المراغى[٣]:

فمع إنكار الشيخ لتفسير القرآن بالنظريات العلمية التى تكون صحيحه أو غير صحيحه لا يرى مانعاً من تفسير الآية إذا اتفق ظاهرها مع الحقيقة العلمية الثابتة فهو يقول " يجب إلا تجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية كذلك ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها [٤].

سادساً : الشيخ أبو حامد الغزالى ت سنة ٥٠٥ هـ : يعد من أبرز رواد التفسير العلمى فذكر فى كتابه " إحياء علوم الدين " عند حديثه عن العلوم الدنيوية . أن جميع العلوم المعروفة والتى سيسفر عنها الزمان مع تعاقب العصور موجودة كلها ومتشعبة فى القرآن . فقال : كل ما أشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق من النظريات . والمقولات فى القرآن إليه رموز ، ودلالات عليه يختص أهل الفهم بإدراكها[٥] .

ثم جاء فى كتابه " جواهر القرآن " الذى ألفه بعد الأحياء فنجده يزيد هذا الذى قرره فى الأحياء بياناً وتفصيلاً ، فيعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ط بولاق ١٣٢٢ هـ صـ ٤١ .

(٢) نظر اتجاه العصر الحديث لمصطفى الطير ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٥ م صـ ٥٤

(٣) نظر تقريظه لكتاب الإسلام والطب الحديث للطبيب عبد العزيز إسماعيل صـ ٥ .

(٤) نظر المرجع السابق صـ ٥ .

(٥) حياء علوم الدين للغزالى جـ ٢/١٣٥ مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .

سائر العلوم من القرآن فيذكر علم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر .. وغير ذلك ثم يقول : ووراء ما عددته علوم أخرى "[١] إلى أن قال " لو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ، ولا يمكن الإشارة إلى مجامعها ... فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين ، والأخرين[٢]

سابعاً : الشيخ محمد متولى الشعراوى فلقد سمعناه كثيراً يلجأ – عند حديثه عن الآيات ذات المدلولات العلمية – إلى العلوم الحديثة فى الاستعانة على بيان خواطره الإيمانية حول الآية فيظهر لنا فهماً جديداً لها لم يكن واضحاً من قبل ونفهم من ذلك أنه لا يعارض التفسير العلمى ويؤكد تأييده له ما ذكره عند تقديمه لكتاب الإعجاز الطبى فى القرآن للدكتور السيد الجميلى حيث قال الشيخ الشعروای للمؤلف: إنى أحمد إليك الله – جل شأنه – على ما وفقك إليه من إقبال على دراسة كتابه الكريم ، وسنة رسوله ﷺ دراسة مؤمن بأنه المعجزة الباقية الخالدة لسيد المرسلين ، وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله أجمعين . وقد يسر الله لى قراءة كثير مما انتهيت إليه من اثبات علمى يتصل بتخصصك الطبى ، ويؤكد أن سبق القرآن إلى ما وصل إليه العلم الحديث يدل – بلا ريب – على أنه تنزيل رب العالمين ، وفى ذلك ما يجلى أن إعجاز القرآن إعجاز عام فى كل ما يتصل بحقائق الكون التى لم يصل العلم الى بعضها إلا مؤخراً . وإن القرآن الكريم سيظل إلى أن تقوم الساعة رله عطاؤه الذى لا ينضب ما بقى باحثون موهوبون يتدبرون آياته ويكشفون عن كنوزه ، ولو أن كل متخصص فى علم شغل نفسه بأثر ما فيه لغطى أعجازه كل نشاطات الأذهان . وبهذا تجمع الدنيا على صدق رسالة سيدنا محمدﷺ.

واخيراً أرجو أن تستزيد بتخصصك ، وموهبتك ، وأخلاصك ؛ فإن القرآن لا تنقض عجائبه ولا يشبع منه العلماء ، وفقك الله ، وبارك فيك ، وبارك

---

(١) جواهر القرآن لأبى حامد الغزالى ص ٣٢/٣١ ط كردستان سنة ١٣٢٩ هـ

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

لك وبارك منك[١] وأنظر إليه وهو يقول :للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجبل السابق ، وذلك أن القرآن للعالمين ، وهو الدين الكامل لكل البشر ، ومن هنا فإنه يجب أن يكون له عطاء لكل جيل ، وإلا لو أفرغ القرآن عطاءه الأعجازى فى قرن من الزمان مثلاً لاستقبل القرون الأخرى بلا عطاء ، وبذلك يكون قد جمد والقرآن متجدد ولا يجمد أبداً ، قادر على العطاء لكل جيل بما يختلف عن الجيل الذى قبله[٢] .

ومما يدل على اتجاهه هذا - أيضاً - ما قاله فى جريدة الجهورية بمصر[٣]: إن القرآن آية الإعجاز وله عطاءات فى هذا المضمار العلمى . قال تعالى :

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...[٤] .

ويتمثل العطاء الأول فى الآفاق الواسعة وتسمى الآيات الكونية . ولقد أوضح الله سبحانه من آيات الكون للمؤمنين هداية لهم ، وأرشاداً فبرع كثير منهم وكانوا قادة أوائل فى العلوم منهم جابر بن حيان الذى كان أول من وضع أساس علم " الكيمياء " وابن سيناء الذى وضع علم " الطب " لعلاج أدواء البشر وعلم " الفلك والرياضيات " ولم تهمل آيات الكون جسم الإنسان فاكتشف ابن النفيس الدورة الدموية ووصفها وصفاً عملياً دقيقاً ، وتبعه الزهراوى فى أجراء الجراحات الكثيرة حتى سمى " أبا الجراحة " ولم يقتصر عطاء الله تعالى على المؤمنين بل أنه أفاض

---

(١) تقريظ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى القاهرة فى ١٤ من صفر الخير سنة ١٣٩٧ هـ ، فى مقدمة كتاب الإعجاز الطبى فى القرآن د/ السيد الجميلى ص ٥ ط/ دار التراث العربى للطباعة والنشر ٤ .

(٢) انظر معجزة القرآن للشعراوى ٣/١ ط الثالثة ١٩٨٢ م .

(٣) جريدة الجمهورية ١٥/٤/١٩٩٤ م .

(٤) الآية ٥٣ من سورة فصلت

من فضله على غير المسلمين مما نشهده من نهضة علمية فى دول الغرب والشرق غير المؤمنة .

العطاء الثانى : فى الآية الكريمة فى نفس الإنسان وما يتعلق بالجسد البشرى من أسباب الصحة ، والقوة ، والضعف ، والمرضى ، حتى الموت ، وكان من فضل الله كذلك أن آيات الكون واسراره فى الجسد البشرى منحها الله للمؤمنين وغيرهم حتى تكون سبباً فى إيمان غير المؤمنين مما حدا ببعض العلماء غير المسلمين فى مؤتمرات الإعجاز العلمى أن يعلنوا اعتناقهم للدين الإسلامى " .

كما نراه أيضاً يربط بين آيات القرآن الكريم وبين الحقيقة العلمية الثابتة فى مواضع ومواقف كثيرة من مقالاته التى ينشرها أو أحاديثه الإذاعية المرئية والمسموعة .

ثامناً: عبد المجيد الزندانى وهو أمين عام هيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة حيث قال فى بحث تحت عنوان المعجزة العلمية فى القرآن والسنة[١] (إن معجزة القرآن العلمية ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة . فأشار القرآن إلى أنباء نعرف المقصود منها ؛ لأنها بلسان عربى مبين لكن حقائقها ، وكيفياتها لا تتجلى إلا بعد حين قال – تعالى – : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴾[٢] أورد المفسرون فى تفسير " الحين "أنه :بعد الموت وقبله . أى لتظهر لكم حقيقة ما أقول . فالله أعلم المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد "حين" من غير حد منه لذلك " الحين " ولا حد عند العرب "للحين"، فإذ كان كذلك فلا أقول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله .

---

(١) المؤتمر الأول للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة المنعقد فى إسلام أباد سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م . بحث بعنوان " المعجزة العلمية فى القرآن والسنة " للشيخ عبد المجيد الزندانى .

(٢) الآيتان ٨٧ ، ٨٨ من سورة ص .

وقوله تعالى : ﴿ **لِّكُلِّ نبإٍ مُّسْتَقَرٌّ وسوْف تعْلمُون** ﴾[1] شاء الله أن يجعل لكل "نبأ" زمنا خاصاً يتحقق فيه ؛ فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان أشرقت المعانى التى كانت تدل عليها الحروف والألفاظ فى القرآن ، وتتجدد المعجزة العلمية عبر الزمان وإلى هذا الزمن أشار الله فى القرآن بهذه الآية . ويبقى " النبأ " الآلهى محيطا بكل الصور التى يتجدد ظهورها عبر القرون، وسوف تعلمون أيها المكذبون بصحة ما أخبر به .

لقد نزل القرآن فى عصر انتشار الجهل ، وشيوع الخرافة ، والكهانة ، والسحر، وأوهام الأزلام ، والأصنام ، والتشاوم ، والتطير ، وهذا مثل من الضلال الفطرى الذى كان عليه العرب عند نزول القرآن . وكان العرب أمة أمية كما بين القرآن الكريم فى قوله : ﴿ **هُوَ الَّذِي بعث فِي الْأُمِّيِّين رسُولاً مِّنْهُمْ يتْلُو عليْهِم آياته ويُزكِّيهِمْ ويُعلِّمُهُمُ الْكِتاب والْحِكْمة وإِن كانُوا مِن قبْلُ لفِي ضلالٍ** مُّبِينٍ [2] فى ذلك العصر وعلى تلك الأمة نزل الوحى وفيه علم الله يصف أسرار الخلق فى شتى الآفاق ويجلى دقائق الخلق فى النفس البشرية ويقرر البداية ، ويصف أسرار الحاضر ، ويكشف غيب المستقبل الذى ستكون عليه سائر المخلوقات .

وعندما دخل الإنسان فى عصر الاكتشافات العلمية فى آفاق الأرض ، والسماء، وفى مجالات النفس البشرية ؛ فإذا ما تكاملت الصورة وتجلت الحقيقة وقعت المفاجأة الكبرى بتجلى أنوار الوحى الألهى الذى نزل على سيدنا محمد ﷺ قبل ألف وأربعمائة عام يذكر تلك الحقيقة فى آية من القرآن ، أو بعض آية، أو فى حديث لرسول الله ﷺ أو بعض حديث بدقة علمية معجزة ، وعبارات مشرقة ، وبهذا أنبأنا القرآن قال تعالى : ﴿ **قُلْ أرأيْتُمْ إِن كان مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كفرْتُم بِهِ مِنْ**

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢ من سورة الجمعة .

أضلُّ ممَّنْ هُو فى شقاق بعيد سنُريهمْ آياتنا في الْآفاقِ وفي أنفسهمْ حتّى يتبيّن لهمْ أنّهُ الْحقُّ أولمْ يكْفِ بربِّك أنّهُ علَى كلِّ شيْءٍ شهِيد ﴾[١] .

فهيا نتدبر بعض معانى هذا النص القرآنى . قال ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم " سنريهم آياتنا .. " أى ستظهر لهم دلالاتنا ، وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسوله ﷺ بدلائل خارجية فى الآفاق"[٢] .

وقال الزمخشرى معناه : إن هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم يرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد أى مطلع ومهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده "[٣] .

تاسعاً: سعيد النورسى[٤] له آراء فى هذا الاتجاه التفسيرى للقرآن ونعرض مقتطفات موجزة من كلامه حيث قال : " من آيات القرآن قسم يزداد وضوحاً بمرور الزمان ، ولا تنقضى عجائبه له محكمات لا تتغير معانيها ، واحكامها فى كل الأزمان . ولـــه – أيضاً – معانى ثانوية تشير إلى بعض الحقائق العلمية التى تتكشف شيئاً فشيئاً حسب تقدم المستوى العلمى البشرى .

---

(١) الآيتان ٥٢ ،٥٣ من سورة فصلت .

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٢٦٨/٣ تحقيق محمد على الصابونى ط/ دار القرآن الكـــريم بيروت .

(٣) عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى أبى القاسم جاد الله محمـــود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى بحاشية الســيد الشــريف وكتــاب الأنصـــاف ٤٥٨/٣ ط مصطفى الحلبى .

(٤) مجاهد إسلامى تركى مشهور كتب تفسيراً باللغة العربية لسورة البقــرة اســماه " إشــارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " كما كتب تفسيراً لبعض سور وأجزاء القرآن توفى عام ١٩٦٠م

أما الحقائق الظاهرية التى بينها السلف فمسلمه محفوظة لأنها أسس ، وقواعد يجب الأيمان بها والقرآن موصوف بأنه " عربى مبين " وهذا يقتضى كونه واضحاً فى معانيه الأساسية[١]... إلخ .

ثم يتساءل النورسى بعد أن تعرض لجوانب من الإعجاز العلمى فيقول : فإن قلت كيف نستطيع أن نعلم أن القرآن أراد هذه المعانى وأشار إليها ؟

فالجواب :ما دام القرآن أزلى ، وما دام هو يخاطب كل طبقات البشر المصطنعة جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة ؛ فلابد له من مراعاة تلك الأفهام المختلفة، والمعانى المتعددة وارادتها . وكل هذه المعانى تعد من معانى القرآن بشهادات أهل الاجتهاد وأهل التفسير الأصوليين بشرط :

أ- كونه صحيحاً من ناحية العلوم العربية

ب – وحقاً من جهة الأصول الدينية .

وكتب التفسير الكثيرة والتى ألفها المحققون تشهد بجامعية القرآن هذه وخارقيته[٢] .

عاشراً : من مؤيدى التفسير العلمى أيضاً : أ / محمد أحمد الغمراوى الذى اثاب بالمسلمين أن يقبلوا على هذه العلوم الكونية حتى يدركوا تطابق القرآن مع سنن الله فى الكون ،واعتبر أن هذا وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم بل اعتبره الوجه الأهم المتجدد والمستمر إلى يوم القيامة يقول بعد هذا كله : **هذا النوع من الأعجاز يعجز الإحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل ، فإن الحقيقة العلمية التى لم تعرفها الإنسانية إلا فى القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً**

---

(١) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز فى تفسير سورة البقرة للمجاهد الإسلامى التركى سعيد النورسى ص ١٧٤ بالغة العربية .

(٢) المرجع السابق إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز للشيخ سعيد النورسى ص ١٧٤ .

والتى ذكرها القرآن لابد أن تقوم عند كل ذى عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن[١] .

* الفريق الثانى : المنكرون لهذا اللون من التفسير العلمى وهم قلة بالمقارنة بفريق المجيزين لاستعمال الكشوف العلمية فى فهم الآيات القرآنية .

ومن هؤلاء المنكرين : أولاً: أبو إسحاق الشاطبى[٢] يعتبر من أقدم المنكرين لهذا الاتجاه فقال فى كتاب " الموافقات فى الفصل الثالث من المسألة الرابعة : " لا يصح فى مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاماً لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه " .

وقال فى المسألة الرابعة من النوع الثانى : ما تقرر من امية الشريعة[٣] وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب تتبنى عليه قواعد :

منها : أن كثيراً من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد فاضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات ، والتعاليم، والمنطق، وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح – أى ما سبق ذكره فى كتاب الموافقات – فإن السلف الصالح كانوا أعلم بالقرآن ، وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أن أحداً منهم تكلم فى شىء من هذا سوى ما ثبت فيه من أحكام التكاليف ، وأحكام الآخرة ، وما يلى ذلك . ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر

---

(١) الإسلام فى عصر العلم صـ ٢٥٩ ط السعادة بالقاهرة .

(٢) الشاطبى صاحب كتاب الموافقات فى أصول الأحكام . الشاطبى أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى ت ٧٩٠ هـ فقيه أندلسى مالكى المذهب ، وهو منسوب إلى شاطبه مدينة بشرق الأندلس ازدهرت ايان الحكم العربى واعتبر من العلماء الفقهاء المجددين مؤلفاته كثيرة منها الاعتصام طبع بالقاهرة عام ١٩١٣م ت ٨ شعبان سنة ٧٩٠ هـ ١٣٣٨ م أنظر القاموس الإسلامى ١٢/٤ ط ١ سنة ١٩٧٦ .

(٣) يقصد بذلك حديث النبىﷺ الذى جاء فى البخارى " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " فى كتاب الصيام باب قوله ﷺ " لا نكتب ولا نحسب " ١٥١/٤ رقم ١٩١٣ فتح البارى ط الريان

لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن . فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا[١] .

ورد عليه ابن عاشور فقال : إن الذى بنى عليه هو أساس واه لوجوه ستة :

الأول : أن ما بناه عليه يقتضى أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال . وهذا باطل لما ذكرناه -- أى ما سبق ذكره من قول ابن عاشور فى التفسير العلمى – قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا** ﴾[٢] .

الثانى : أن مقاصده راجعه إلى عموم الدعوة وهى معجزة باقية فلا يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله إفهام من يأتى من الناس فى عصور انتشار العلوم فى الأمة.

الثالث : أن السلف قالوا : إن القرآن لا تنقض عجائبه يعنون " معانيه " ولو كان كما قال الشاطبى لا نقضت عجائبه بانحصار أنواع معينة .

الرابع : أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعانى مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة .

الخامس : أن مقدار إفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضى إلا أن يكون المعنى الأصلى مفهوما لديهم . فأما ما زاد على المعانى الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام ، وتحجب عنه أقوام ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

السادس : أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند

---

(١) نقلا من التحرير والتنوير لابن عاشور المقدمة الرابعة القسم الأول ٤٤/١ وانظر الموافقات ٩٦/٢ ط دار المعرفة للطباعة .

(٢) الآية ٤٩ من سورة هود .

ظواهر الآيات. بل قد بينوا ، وفصلوا ، وفرعوا فى علوم عنوا بها ، ولا يمنعنا ذلك أن نقف على آثارهم فى علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية ، أو لبيان سعة العلوم الإسلامية ، أما ما وراء ذلك فإن كان ذكره لايضاح المعنى فذلك تابع للتفسير أيضاً . لأن العلوم الفعلية إنما تبحث عن أحوال الأشياء على ما هى عليه ، وإن كان فيما زاد على ذلك ليس من التفسير لكنه تكملة للمباحث العلمية ، واستطراد فى العلم لمناسبة التفسير ؛ ليكون متعاطى التفسير أوسع قريحة فى العلوم[١] .

وقال الإمام أبو حامد الغزالى فى رده على كلام الشاطبى السابق وهو : قوله " إن هذه الشريعة أمية لأمه أمية فقال الإمام محمد الغزالى هناك قضية هامة أتى بها الشاطبى فى قضية " أمية الأمة وأمية الشريعة " وهى قضية خطيرة إذا أخذناها على اطلاقها . فإنها تؤدى إلى محاصرة العقل فهل يعقل أن تكون هذه " الأمية " خالدة ؟ أم أنها مرحلة مؤقتة كان العرب عليها ومن ثم انتهت وأصبحت الأمة تكتب وتحسب؟ وأرى أن الأمة فى مرحلة من حياتها قد تكون أمية لا تقرأ ، ولا تكتب ، ولا تحسب ثم يتغير حالها إلى مرحلة أخرى فتصبح أمة عالمة ، قارئة . فهل يمكن أن تبقى الأمة متوقفة على الوسائل الأمية فى النظر والحكم والعلم ؟ الأمة اليوم أصبحت تقرأ، وتكتب ، وتحسب .

فالتقرير على أن الأمية صفة قسرية ، أو ملازمة للأمة، وأن الأحكام يجب أن تبقى مناسبة لمرحلة الأمية ؛ أظن أنه أمر يتعارض مع طبيعة الحياة ، وصيرورتها ، كما يتعارض مع خلود الرسالة ، وقدرتها على الاستجابة لدواعى العصر .

وأمر الإصرار من بعض العلماء على " الأمية " عجيب !! وهو ما أدى إلى التعسف ، والتوقف عند بعض المفهومات وعدم تجاوزها .. ففى الحديث " إنا

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور المجلد الأول المقدمة الرابعة القسم الأول ١/٤٤ – ٤٥ .

أمة أمية لا تكتب ولا نحسب"[١] لكن هل هذا يعنى أن تبقى الأمة أبداً لا تقرأ ، ولا تكتب، ولا تحسب ؟ هل هذا يعنى – أيضا – أن نبقى بعيدين عن الكسب العلمى وكانت أول أية نزلت تفرض التعلم والتحول إلى القراءة والكتابة ؟ والسؤال – أيضاً – بعد نزول القرآن هلى تبقى الأمة أمية ؟

لقد كانت أمة أمية ثم جاء هذا العلم المزدوج المضاعف الكثير فى كتاب الله فكيف تبقى أمية بعده ؟ هذا مستحيل . والمعروف أن القرآن علم بل هو أعظم العلوم . والتعبير عن أنه موجود فى آيات كثيرة منها قوله – تعالى – : ﴿ **ولئن اتّبعت أهواءهُم بعْدَ الَّذي جاءك منَ الْعلْمِ ما لكَ منَ اللّه من ولِيٍّ ولا نصير** ﴾[٢] .

ولما سئل الرسول ﷺ أبى بن كعب عن أفضل آية عنده قال " آية الكرسى " قال له "ليهنك العلم أبا المنذر "[٣] .

ويقول تعالى : ﴿ **وإذا جاءهُمْ أمْرٌ منَ الأمْنِ أوِ الْخوْفِ أذَاعُواْ بِهِ ولوْ ردُّوهُ إلى الرَّسُولِ وإلى أُولِي الأمْرِ منْهُمْ لعلِمهُ الَّذِينَ يسْتنبِطُونهُ منْهُمْ** ﴾[٤] .

فالعلم هو صفة القرآن وصفة المشتغلين به فكيف يقال إن الأمة أمية مع القرآن؟ هذا مستحيل والقرآن نفسه وجه لاقتحام أسوار الحياة ، والتغلغل فى أسرارها، ومجال العلم الإلهى فيها، والحكمة الإلهية فيها، فكيف يقال إن الرسالة أمية؟

---

(١) الحديث رواه البخارى عن عبد الله بن عمر كتاب الصيام باب قول النبى ﷺ " لا نكتب ولا نحسب ٤/١٥١ رقم ١٩١٣ فتح البارى ط/ الريان .

(٢) الآية ١٢٠ من سورة البقرة .

(٣) رواه مسلم عن ابى بن كعب كتاب الصلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف وآية الكرسى ٦/٩٣ بشرح النووى ط المطبعة المصرية .

(٤) الآية ٨٣ من سورة النساء .

إلا ويمكن أن يكون هناك أفق آخر للقضية وهو : أن التكاليف والعبادات وما إلى ذلك يمكن أن تكون لها صفة العموم ، وتشمل الناس جميعاً بمختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية .

والرسالة ميسرة لكل بحسب كسبه ، كأني ألمح في بعض الوجوه أن التعاليم الإسلامية كالأمر بالصلاة والصيام ... إلخ لا تستدعي سوية معينة من الكسب العلمي حتى يستطيع الإنسان أن يدركها وإلا كيف يمكن أن نخرج ذلك من الأمة الأمية؟[١].

ثانياً : الشيخ عبد الكريم الخطيب[٢] حيث قال تحت عنوان التفسير العلمي للقرآن بين المؤيدين والمعارضين : إنه نوع من التهريج والإدعاء "!!" يقوم به أصحابه فيلصقون بالقرآن أشياء أشد ما تكون بعداً عنه ويضرب مثالاً بالآية القرآنية ﴿**والسّماء بنيْناها بأيْد وإنّا لموسِعُون**﴾[٣] .

فيقول : إن أصحاب هذا التفسير يتحدثون عن التمدد والتزايد في الألوان فمن أين جاءوا بهذا ؟ ويأت بمثال آخر وهو قوله تعالى :﴿ **أولمْ يروْا أنّا نأتي الأرض ننقصُها منْ أطْرافِها...**﴾[٤] وقد قال هؤلاء عن ذلك بتأكل الشواطئ البحرية

ويؤكد الخطيب أن العلم متغير لا يثبت على حال حيث تنقض النظريات القائمة بنظريات حديثة "[٥] .

---

(١) احياء علوم الدين ١٣٦/٣ ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .

(٢) تحقيق صحفي له في مجلة المسلمون ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ م . تحت عنوان التفسير العلمي بين المؤيدين والمعارضين .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٤) الآية ٤١ من سورة الرعد .

(٥) التحقيق السابق للشيخ عبد الكريم منشور في مجلة المسلمون .

والمرد عليه أقول : أ- إن كان بعض من نهج هذا النوع من التفسير قد جانبه الصواب فإن هذا يحدث لكل علم من العلوم فالعيب ليس فى المنهج وإنما فيمن تصدو لتطبيقه .

ب- لم يدع أحد من المجيزين – لهذا النوع – استنباط جزيئات العلوم الكونية من القرآن مثل ما ذكر الخطيب . بل إن المناقشة تدور حول موضوع آخر هو الحقائق العملية لا النظريات فبالحقائق العلمية نؤكد على احتواء القرآن على كثير من الحقائق العلمية التى تعتبر من الإعجاز العلمى ولم نكن نعلمها من قبل .

جـ – لم يقل أصحاب هذا الاتجاه باحتواء القرآن على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالأسلوب العلمى المعروف وإنما أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان ليبلغ به درجة عالية جسداً وروحاً وترك الباب مفتوحاً أمام المتخصصين فى شتى العلوم ليبنون جزئياتها .

ثالثاً : د/ محمد حسين الذهبى : له آراء مناوئه للتفسير العلمى للآيات الكونية ذكرها فى كتابه " التفسير والمفسرون " حيث قال :

أما أنا فاعتقادى أن الحق مع الشاطبى – رحمة الله – لأن أدلته قوية ، وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا فى أن الحق فى جانب الشاطبى ومن ذلك :

الناحية اللغوية : تغيرت ألفاظ قرآنية وتوسعت دلالاتها على مر الزمان وتعددت معانى اللفظ الواحد فبعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن ، وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن ... فهل يعقل أن نتوسع فى فهم ألفاظ القرآن توسعاً يجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث ؟

الناحية البلاغية : وموجز القول فيها أن الذهبى توصل إلى ضرر البلاغة القرآنية من جهة التغير العلمى للقرآن .وحجته هى الذين خاطبهم الله بهذا القرآن وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعانى رغم أن الله يريدها من خطابه إياهم لزم أن يكون القرآن غير بليغ لأنه لم يراع حال المخاطب ! وإن كانت

العرب تعرف هذه المعانى وقت نزول القرآن بين ظهرانيهم فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية منذ نزل القرآن ؟

الناحية الاعتقادية :وتتلخص فى أن قواعد العلم ونظرياته لاقرار لها ولابقاء فإذا ذهبنا إلى تفصيد القرآن ما لم يقصد إليه من نظريات ثم ظهر بطلانها فلسوف يتزعزع اعتقاد المسلمين فى القرآن .

– هذا وإن كان د/ الذهبى قد شدد على المسرفين فى التفسير العلمى للقرآن إلا أنه بدأ غير متعرض على الفكرة فى حد ذاتها .لأنه قال فى أواخر ما كتب فى هذا الموضوع – وحسبهم أن لا يكون فى القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة . وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ماجد ويجد من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق وتستند إلى أصل من الصحة"[١].

رابعا : من المعارضين للتفسير العلمى أ.د/ عبد العزيز الدردير[٢] رحمه الله تعالى حيث قال " أما البحوث المستفيضة والمفصلة عن قواعد هذه العلوم والفنون المتعلقة بالكون ، وتحميل آيات القرآن كل تفصيلاتها وجزئياتها وشرح نظرياتها ما جد منها وما يجد بدعوى أن القرآن سبق بها العلم فهذا أمر غير معقول ، يوقع فى الحرج والمحظور ، ويحمل ألفاظ القرآن غير ما تحتمل ، ونخرج بها عن مدلولاتها العربية ، وهذا ما لا يليق بكتاب ربنا الذى أنزله علينا بلسان عربى مبين [٣] .

---

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبى ٢/ ٤٦٩- ٤٧١ ط مكتبة وهبة .

(٢) د/ عبد العزيز الدردير موسى شغل منصب نائب رئيس الجامعة لفرع أسيوط وكان يعمل أستاذا بكلية أصول الدين أسيوط قسم التفسير وعلوم القرآن .

(٣) التفسير العلمى للقرآن الكريم للدكتور / عبد العزيز الدرديرى ص ١٢٢ .

وقال أيضاً د/ عبد العزيز دردير وأصحاب المنهج العلمي يقولون في القرآن بما لا يعلمون، أو على الأقل بما يمكن تعلمه من غير القرآن فيحملون القرآن ما لا يحتمل ، ويخرجون به عن هدفه الأصلي وهو الهداية والإعجاز ، وهذا يؤدى إلى التفسير بالرأى المذموم الذى نهى عنه الله ورسوله وحذر منه الصحابة رضوان الله عليهم [١] .

خامساً : من المعارضين أيضاً د/ عبد الغنى عوض الراجحى حيث قال : إن الدراسات الكونية الدقيقة ليس السبيل إليها تعاليم الأديان ، فما لهذا انزلت الأديان ، ولا فى هذا تقحم نفسها الأديان ، وإنما السبيل إليها الجد والدرس والتجارب والملاحظة ، والاستنباط ، وتلك بضاعة العقل لا تتلقى من الأديان بالنقل ، وهى بالتالى ميزة الإنسان التى من أجلها سجدت له الملائكة . واستحق الخلافة عن الله فى الأرض ، وهى كذلك مظهر تكريم وتقدير للإنسان وأعطاؤه مجاله الخاص يعمل فيه عقله وفكره تام الحرية مستقل الشخصية ملتقياً فى نهاية الطريق مع حقائق الأديان مؤمناً بحسن توجيهها وعظمة مناهجها وسداد نصيحتها دون أن يكون متناقضاً معها ومتلقياً دقائق هذه العلوم عنها ، ولكن هذا لا يمنع أن توجد فى آيات القرآن الكريم ظواهر كونية وآيات وعجائب من الكائنات والمخلوقات فى الأرض والسماء وفى الإنسان نفسه يشير إليها القرآن بإيجاز وإجمال ليوجه الأنظار إلى ما فيها من مجالات البحث والدلالة على عظمة الخالق وإتقان صنعته وعجائب قدرته وعظيم رحمته ونعمته فى هذه الكائنات والموجودات كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ﴿سنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ ...﴾ [٢] .

---

(١) التفسير العلمى للقرآن الكريم د/ عبد العزيز دردير صـ ١٥١ .

(٢) سورة فصلت الآية ٥٣ وانظر كتاب الأرض والشمس فى منظور الفكر الإسلامى ٢٠/١٦ للدكتور / عبد الغنى عوض الراجحى ، طبعة الأهرام التجارية ، وسلسلة دراسات فى الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٤٠١ هـ .

وإلى جانب ما ذكرته من قبل فى الرد على بعض المنكرين فى هذا النوع من التفسير أذكر ملخصاً لآراء هؤلاء المعارضين ومجمل الرد عليهم فأقول:-

أولاً : قالوا إن القرآن نزل ليفهمه العرب فى الصدر الأول من الإسلام ، وعلينا أن نحذوا حذوهم فيما فهموا من آياته بحسب مدلولات الألفاظ العربية وبلاغتها .. والتفسير العلمى يضر ببلاغة القرآن ؛ لأن من خوطبوا فى وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعانى وكان الله يريدها من خطابة إياهم ؛ لزم أن يكون القرآن غير بليغ ؛ لأنه لم يراع حال المخاطب !! وإن كانوا يعرفون هذه المعانى فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية من ليلة نزول القرآن ؟ .

ثانياً : إن القرآن لا شأن له بالعلوم الطبيعية وإنما هو كتاب هداية ، وإرشاد ، وبيان التكاليف ، وأحكام الآخرة .

ثالثاً : إن التفسير العلمى للقرآن يعرضه الدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان .

وما هى إلا فروض ، ونظريات يعتقد رجال العلوم فترة من الزمان صحتها. ثم لا يلبثون بأنفسهم أن يبطلوها . ومن ثم فلا يجوز للمسلم أن يقحم القرآن فى أشياء ومعارف تتغير وتتبدل مع آيات خالدة باقية لا يتطرق إليها أدنى تتغير أو تبديل ؟! .

فإذا ذهبنا إلى تقصيد القرآن ما لم يقصد من نظريات ثم ظهر بطلانها فسوف يتزلزل اعتقاد المسلمين فى القرآن "[1] .

ومجمل الرد على القول الأول أقول :

فى هذا الكلام محاصرة للنص القرآنى ، وقصر فهمه على عصر معين، وفكر ذلك العصر ، وذلك خلاف ما أمرنا الله به من التدبر ، والتفكر .

---

(١) الإشارات العلمية فى القرآن بين الدراسة والتطبيق د/ كارم ص ١٢٥/١٢٦ .

وما تقولون به يضع الأغلال على العقل لادراك سنن الله تعالى فى الأنفس، والآفاق ، والاقتصار على ما نظر فيه الأقدمون من الآيات .مع أن هناك آيات لها مقاصد كونية تدعوا إلى الكشف العلمى الدائم .

فالحقيقة أن القرآن لا يقتصر على تفسير عصر دون عصر ، ولا على عالم دون آخر . ولكن يظهر لنا فى كل عصر من العصور من المعانى العظيمة ، والأسرار الجليلة فى آيات الله – تعالى – من اوجه الإعجاز العلمى وغيره لم تظهر من قبل .

والرد على قولهم الثانى : الذى قالوا فيه " إن القرآن الكريم كتاب هداية للبشر " فهذا حق ، ولكنه مع ذلك كتاب هداية بالأحكام ، والنظر ، والتأمل فى صنع الله – تعالى – لأنه سبحانه – أراد أن ينوع وسائل هدايته لخلقه فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم مساً رقيقاً ، وتارة يقرع عقلوهم قرعاً قوياً شديداً . لذا حضهم على التدبر فى آيات خلقه وصنعه وإلا فما الحكمة من وراء سوق الآيات الكونية فى القرآن ؟ ففيه آيات تذكر السموات، والأرض ، والشمس ، والقمر ومنازله ، والمشارق ، والمغارب، والبروج ، والنجوم ، والكواكب ، والليل ، والنهار ، والفجر، والغسق والظلمات ، والنور ، والبحار ، والأنهار ، والرياح، واللواقح ، والعقيم ، والسحاب الثقال والمركوم ، والطلع، والسدر، واليقطين ، والنمل ، والنحل ، وجناح البعوضة، وبيت العنكبوت ، والطير الصافات ، والأبل ، والخيل ، والأنعام ، واللبن ، والشراب الشافى فى بطون النحل .. الخ .

كل هذه الظواهر وتلك المخلوقات وغيرها جديرة بأن يتدبر الإنسان أمورها ويتأمل صنعها حتى يصل إلى مرتبة الخشية .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ**

النّاس والدّوابّ والأنعام مُختلفٌ ألوانُهُ كذلك إنّما يخشى اللّه منْ عبادهِ الْعُلماء إنّ اللّه عزيزٌ غفور[١]

وقول المعارضين :إن القرآن ليس كتاب علم وإنما هو كتاب هداية فقط بحيث يدعو إلى التزود بالعلم . أما إذا قلنا إلى شخص غير مسلم – كالمواطن الياباني مثلا – إن القرآن كتاب علمي حوى كل العلوم الدنيوية . فإنه سيسأل ببساطة عن الحقائق العملية، والمعلومات ، والنظريات والعلوم التي تبحث عن المجرات والكواكب وحجم الشمس ... الخ .وهنا سنقف عاجزين عن الرد . لأن القرآن لم يرد به شئ من هذا .

ولكن إذا قلنا أن القرآن يدعوا إلى مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنى تعلم العلوم المختلفة – إذ قلنا له ذلك – فإن كلامنا يكون مقبولا ومسموعا".

والرد على ذلك أقول : إن قولكم " بأن القرآن ليس كتاب علم" يوضح التخصص النظرى " القانونى " الذى نعمل به وأنكم لستم على دراية بما يحتويه القرآن من سبق علمي وإعجاز علمي بما لو اطلع عليه علماء الغرب لوفر عليهم سنوات طويلة من البحث الشاق لكى يصلوا إلى الحقيقة مثل انفلاق الذرة وانشطارها وأنها ليست أصغر وحدة فى الكون وقد صرح القرآن بذلك ولم يشر إليها مجرد إشارة ؛ بل كان اللفظ صريحا بذلك ؛ لكن الألفاظ والكلمات تحتاج من يفهمها فهماً صائباً ،ويستخرج منها بعض كوامنها الثرية ؛ فهى بحر ملئ بالجواهر الثمينة وعلى قدر تعلمك للغوص على قدر ما تجنيه من اللآلىء ، والدرر الثمينة ، وكلما سعيت فى هذا البحر بجد ومثابرة كلما عدت بمحصول وفير. نعم فالقرآن لن تنتهى عجائبه ولم تنضب معائن أسراره على مر الزمان[٢] .

أما الرد على قولهم الثالث : " إن التفسير العلمي يعرض القرآن للدوران مع النظريات والفروض التى تتغير وتتبدل ولم تثبت أقول لهم : إننى أؤيد النوع

---

(١) الآيتان ٢٧ . ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) انظر الإشارات العلمية د/ كارم السيد غنيم ص ١٦٠- ١٦٣ .

الذى يعتمد فى تفسيره على الحقائق العلمية الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان ، أما النظريات والافتراضات العلمية القابلة للتغيير ، والمتعرضة للنقض ؛ فلا يجوز لنا أن نقحم القرآن فيها بأى حال من الأحوال .فالقرآن الكريم فى غنى عنها . وبهذا بطلت حجتهم تلك ونرجح قول الفريق الأول .فى اهمية التفسير العلمى لما ذكره أصحابه – فيما سبق– من أدلة هى عندى راجحة من ادلة المعترضين عليه.

وأخيراً أقول إن الكلام الصادر من علام الغيوب لا يحمل على معنى واحد أو يقتصر على معان خاصة أو طائفة واحدة . لكن إعجازه فى معانيه الكثيرة التى تطابق الحقائق فى أى علم من العلوم ، وكان اللفظ له علاقة بذلك .

فالحقيقة العلمية تكون مراده من المعنى بقدر ما بلغت إليه افهام البشر وما ستبلغ فى المستقبل بشرط ألا يخرج عما يصلح له اللفظ العربى ، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً ولا خروجاً عن المعنى الظاهر حتى لا يكون كتفاسير الباطنية . كما أن الحكمة الأصلية فيه هو إعداد البشر للإيمان بالله – تعالى – عن يقين ؛ فينبغى الملاحظة العلمية ، وفوائد هذه التوجيهات ، مع مراعاة أن يكون ذلك من دواعى الإيمان وبتوضيح تلك التوجيهات وما فيها من خطورة أو فائدة للإنسان أو فائدة تعود على دينه وخلقه ومن ثم آخرته .

وأخيراً أقول حينما استخلف الله آدم فى الأرض وعلمه كل شئ بنص القرآن الكريم قال تعالى : " **وعلَّمَ آدمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها**" (١) ، أى أسماء المسميات وبما أن أبناء آدم عليه السلام هم خلفاء عن الله فى الأرض إلى أن تقوم الساعة فإن الله عزوجل بنص القرآن الكريم علمه تلك الأشياء ويلهمه إياها فى وقت الحاجة إليها فلو جهل أبناء آدم تلك الأشياء أصبحوا ليسوا أهلاً لتلك الخلافة ، وبناء على هذا يكون كل ما سيكتشف من العلوم المختلفة من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة هو من تعليم الله لأبناء آدم أياً كانوا على اختلاف ألوانهم وأوطانهم واعتقادتهم مما يدل

---

(١) الآية ٣١ سورة البقرة .

دلالة واضحة على أن التفسير العلمى للقرآن الكريم أمـــر لابـــد منـــه بالشـــروط المذكورة والله أعلم .

د- لماذا لم تأت الحقائق العلمية فى القرآن صراحة ؟

إذا كان الأمر كذلك فى اشتمال القرآن على العلوم الكونية فلماذا لم تأت الحقائق العملية فيه صراحة ليعلمها الناس منذ نزول القرآن ؟

وأجاب على ذلك الشيخ سيد قطب فى ظلال القرآن حيث قال :

هذه الأحكام لا تذكر مجردة كما اعتاد الناس أن يجدوها فى كتب القانون ، والعلوم كلا !! إنها تجئ فى جو يشعر القلب البشرى أنه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الربانى للحياة البشرية ، وأصلاً من أصول العقيدة التى ينبثق منها النظام الإسلامى ، وأن هذا الأصل موصول بالله مباشرة ، وحكمته ومشيئته فى الناس، ومنهجه لإقامة الحياة على النحو الذى قدره وأراده لبنى الإنسان ، ومن ثم فهو موصول بعاقبه وثوابه ليشعر الإنسان أن كل كبيرة وصغيرة فيه تنال عناية الله ، ورقابته ، وكل كبيرة وصغيرة فيه مقصودة لأمر عظيم فى ميزان الله ، وأن الله يتولى - بذاته سبحانه - تنظيم حياة هذا الكائن ، والإشراف المباشر على تنشئة الجماعة المسلمة تنشئة خاصة تحت عينه وإعدادها للدور العظيم الذى قدره لها فى الوجود ، وأن الاعتداء على هذا المنهج يوجب العقاب من الله - تعالى "[1].

كما أقول إن القرآن منهج عبادة وإنه حين يأتى ليعالج لا يعالج الخصوصيات ، وإنما يضع المبدأ أو أمثلة تقاربها . فهو حين يطلب منا أن ننتب فى الأرض ، ونبحث عن آيات الله ، وأن نعمل ، وننتج ، ونعمر فهو يضع الأسس التى تتصل بالزراعة ، أو التربة ، أو نحو ذلك فاحاطة القرآن بكل شئ لا تعنى دخوله فى تفصيلات ، أو جزيئات. فهو قواعد ، وكليات ثابتة ، ومبادئ أساسية تقام عليها أعمدة العلم فى كل العصور والثقافات . نقيس على ذلك مثلاً اشارة

---

(١) مقدمة ظلال القرآن الكريم للشيخ سيد قطب ٢٣٦/١ ط دار الشروق .

القرآن الكريم لعسل النحل فى قوله تعالى :﴿ **وأوْحى ربُّك إلى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِي من الْجبالِ بُيوتا ومن الشَّجرِ وممّا يعْرِشُون . ثُمّ كُلي من كُلِّ الثَّمراتِ فاسْلُكي سُبُلَ ربِّك ذُلُلاً يخْرُجُ من بُطُونِها شرابٌ مُّخْتلفٌ أَلْوانُهُ فيه شفاءٌ للنَّاسِ إنّ في ذلك لآيةً لِّقوْمٍ يتفكّرُون** ﴾[١] فهذه إشارة مجملة للعسل فى فوائده الصحية ، والدوائية ، والشافية للناس ، وترك الكشف عن خصائصه ، وما هيته ، وكيفية التداوى ، والأمراض التى يعالجها ليحث العلماء على الكشف عن هذه الجزئيات وتلك التفاصيل .

قال العالم التركى سعيد النورسى : إن القرآن كتاب هداية وإرشاد . فيكون نافعاً إذا كان على درجة " استعداد " أفكار الجمهور الأكثر . والجمهور باعتبار المعظم عوام ، والعوام على رؤية الحقيقة عريانة لا يستأنسون بها إلا بلباس خيالهم المألوف، فلهذه النكتة صور القرآن تلك الحقائق بمتشابهات ، وتشبيهات ، واستعارات ، وحافظ على الجمهور الذين لم يتحملوا الوقوع فى ورطة التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه فأجمل فى المسائل التى يعتقد الجمهور بالحث الظاهر مخالفتها للواقع لكن مع ذلك أومأ إلى الحقيقة بنصب أمارات فإذا انقضت لهذه النكتة فأعلم :

إن الشرعية الإسلامية المؤسسة على البرهان العقلى ملخصة من علوم وفنون وتضمنت الأمور الحيوية فى جميع العلوم الإساسية من فن تهذيب الروح ، وعلم رياضة القلب ، وعلم تربية الوجدان ، وفن تدريب الجسد ، وعلم تدبير المنزل، وفن السياسة ، وعلم الحقوق والمعاملات ، وفن الآداب الاجتماعية ، وكذا وكذا ... الخ مع ان الشريعة فسرت بأسهاب فى مظان الاحتياج ، وأجملت وأحالت إلى الاستنباط فيما لم يلزم فى حينه أو لم تستعد لـــه الأذهان أو لم يساعد له الزمان[٢] .

---

(١) الآيتان-٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل .

(٢) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز للمجاهد الإسلامى التركى سعيد النورسى ص ١٧٥ .

فمثلاً يراعى القرآن ويتلطف مع الحس الظاهرى الذى يشاهد أن الأرض ساكنة، ومنبسطة ولا يقول بصراحة أن الأرض كروية تدور حول نفسها ، وحول الشمس بسرعة . لا .

ما أراد القرآن أن يلبس على الناس ، ويشوش على أفكارهم فيبعدهم عن هداية القرآن . ولو قال القرآن هذا وأمثاله من الحقائق العلمية لانفض الناس من حوله، ولا نكروا ذلك . لم يكن فى ذلك شك .

إلا أن القرآن لم يهمل الإشارة إلى العصر ، وإلى المستوى الذى أدرك الناس فيه حقيقة شكل الأرض أو حركتها .

وبناء على هذه الحقيقة فلابد للمفسرين المتأخرين أن يوفقوا بين الحقائق الكونية المنكشفة وبين النص القرآنى المشير إلى هذه الاكتشافات ، وليست هذه المسائل من قبيل العقائد ، والعبادات ، والأحكام ، والمعاملات ، ولهذا يجوز أن تفهم وتؤمن الأجيال المتقدمة بالمعنى الإجمالى وكفى .

وهذا لا يسبب أى نقيصه لا للقرآن ، ولا للمتقدمين من الأمة من الذين لم يكن فى استطاعتهم أن يعرفوا هذه المسائل بالتفصيل ؛ بل يكون دليلاً آخر بالإعجاز القرآنى. لأن القرآن يعلن بصراحة أنه يحتوى بعض الحقائق التى لم تظهر حقيقتها فى وقت النزول فقال :﴿ **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله** ﴾[1] .

والجزء الأخير من الآية صريح فى أن القرآن يحتوى بعض الحقائق التى سيتضح بمرور الزمان .

---

(١) الاية ٣٩ من سورة يونس .

ومثل قوله تعالى : ﴿ سنُريهِمْ آياتنا في الْآفاق وفي أنفُسهِمْ حتَى يتبيَن لهُمْ أنَهُ الْحقُ أولمْ يكْف بربِك أنَهُ على كُل شيْء شهيد ﴾[١] .هذه الآية صريحة فى أن الله يظهر بعض الحقائق القرآنية بعد زمن النزول "[٢]

كما سبق أن ذكرت ما كتبه المفسر ابن كثير الذى هو أبعد المفسرين عن التفسير الموصوف بالعلمى قال – رحمة الله– فى تفسير هذه الآية : " أى سنظهر لهم دلالاتها وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله ﷻ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية فى الآفاق من الفتوحات ، وظهور الإسلام على الأقاليم سائر الأديان . ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد ، والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى[٣] . ويصرح ابن كثير بأن هذه الآية تشير إلى بعض الحقائق التى يدرسها علم الأحياء وعلم التشريح .

وبعد فإنى لم أقصد بهذا العرض استقصاء آراء كلا الفريقين . وإنما هو بيان لجملة آراء الفريقين ، وبيان ترجيح القول بقبول التفسير العلمى ، ولكن يجب عدم الإسراف فيه . فمما لاشك فيه أن المزالق ، والسقطات التى يقع فيها رجال العلوم الكونية من المسلمين مرجعها هو : الإسراف فى تضمين القرآن النظريات والافتراضات العلمية الحديثة وكأنهم يريدون جعل القرآن نظرية فلك أو كتاب هندسةأو حساب أو نبات أو كتاب حيوان أو فيزياء أو كيمياء ومن هذا الإسراف ، وذاك التعمق الغير واعى أدى إلى انحراف بجوهر الآيات النقى السليم وبالتالى فالنتيجة فى هذه الأعمال على حساب القرآن والإسلام فقاموا بتحميل الآيات القرآنية ما لا يمكن أن تتحمله وفام بعضهم بلى أعناق الآيات ليا حتى يثبت انطباقها مع نظرية علمية أو فرض تجريبى أو ما شاكل ذلك .

---

(١) الآية ٥٣ من سورة فصلت .

(٢) أنظر إشارات الإعجاز فى فطان الإيجاز للشيخ سعيد النورسى ص ١٧٦ .

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى ت ٧٧٤هـ ٢٦٨/٣ تحقيق محمد على الصابونى ط/ دار القرآن الكريم بيروت .

ز- المنهج الصحيح للتفسير العلمى :

وضع العلماء للتفسير العلمى أصولا وضوابط وضمانات لابد من توافرها عند التعليق العلمى على الآيات الكونية فى القرآن الكريم واظهار جوانب الإعجاز التى تضمنها وذلك من واقع تخصصات أهل العلوم الحديثة من المسلمين.

كما أؤكد على أن كل ما يقال فى تعميق المفاهيم ، والمعنى الجديد للآيات أو الآية من وجوه الإعجاز العلمى فى هذه الآيات إنما هو اجتهاد فى عرض المفاهيم ، وإبراز أوجه الإعجاز ولن نجزم بأنه هو مراد الله – تعالى – بل هو – أيضا – خدمة علمية من أجل توضيح جانب من الجوانب التفسير .

وأما الضوابط والضمانات التى تبين أوجه الإعجاز العلمى للقرآن : يعددها لنا د/ كارم فيقول :

١- الرجوع إلى المأثور عن الرسول ﷺ فى التفسير فإذا كان القرآن مجملا فالسنة مفصلة له شارحة له ، ثم بعد ذلك الرجوع إلى التفسير بالمأثور عن الصحابة . ثم يأخذ بعد هذا بالمدلول اللغوى للفظ ، لأن القرآن جاء بلسان عربى مبين ثم يأخذ المفهوم، والتأويل ، والاجتهاد بالرأى ، ويشترط للرأى أصل معتمد من قواعد الشرع .

٢- الاقتباس بالتفاسير المختلفة على أن يتخير منها أجودها بأن تكون خالية من الإسرائيليات والموضوعات والأساطير والخرافات .

٣- التضلع بعلوم مساعدة لأن القيام بمهمة جليلة كهذه لهو عمل من اخطر الأعمال وأعظمها ومن ثم فلابد للقائم بها أن يكون متطلعاً فى العلم الكونى متعمقا فيه ، وملما بقواعد العربية ، ومحيطا بقدر من علوم القرآن الأخرى كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات وكذلك أصول الدين .

٤- التثبت من حقائق المعطيات العلمية : فلا يأخذ فى كلامه إلا بالحقائق العلمية الثابتة ويبتعد من النظريات والفروض.

فأما الحقائق الثابتة فهى ما يجمع عليه العلماء كتمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة مثلا ، وتبخر الماء عند درجة مائة مئوية تحت الضغط الجوى العادى، وتجمده عند درجة الصفر المئوى ، وككروية الأرض ودورانها حول محورها[١]

" يقول الشيخ الشعراوى " والحقيقة العملية نسبة واقعة مجزوم بها وعليها دليل[٢] ثم يقول " قد يتوهم البعض بحقيقة قرآنية وهى ليست كذلك . كأن يدلل على أن الأرض منبسطة بقوله تعالى : ﴿ **والأرض مددناها** ﴾[٣] علماً بأن المد يعنى استمرار البسط بلا حافة وهذا لا يكون إلا لجسم كروى ، فمن اى موقع على الأرض تجد الأرض ممدودة ومبسوطة ، وهذا لا يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية . إذن القول بأن الأرض مبسوطة ليست حقيقة قرآنية . ولكنه فهم متسرع غير سليم لمدلول لفظ المد فى قوله – تعالى – مما ينشأ عنه تعارض وهمى بينه وبين حقيقة قرآنية[٤] .

٥- مراعاة تعدد اللفظ الواحد من أهم سمات اللغة العربية وهى لغة القرآن ثراؤها فى الألفاظ ، والمترادفات ، وفنون البيان ، والبديع ، والبلاغة ، ومن خصائصها تعدد مدلولات اللفظ ، وكثرة معانيه فإذا أخذ أحد الإسلاف من العلماء بمعنى معين فلا ضير على أحد المحدثين أن يأخذ بمعنى آخر يقصد به تعميق اللفظ وبالتالى الآية وهذا لا يعنى الغض من قدر الأقدمين . بل لكل رأيه حسب الثقافة ، والمعطيات العلمية التى توفرت لجيله ، واللفظ واحد باق .

---

(١) الإشارات العلمية فى القرآن د/ كارم ص ٢٨٤ – ٢٨٦ .

(٢) أنظر معجزة القرآن للشيخ الشعراوى ط دار المختار الإسلامى بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م . ص ٢٩ .

(٣) الآية ١٩ من سورة الحجر .

(٤) أنظر معجزة القرآن للشيخ الشعراوى ط دار المختار الإسلامى بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م . ص ٢٩ .

٦- لابد من التأكيد على ألا يكون - كل استشهاد بالعلوم الحديثة أو الاستعانة بها لتعميق مفهوم الآية ألا يكون - بصفة الجزم ، أو الحصر ، وإنما بصيغة الاحتمال ، أو الاستئناس .

٧- مراعاة تعدد المواضع : فقد تحوى آية قرآنية واحدة ظواهر كونية عديدة ، أو تأتى لقطات من الظواهر الكونية الواحدة فى آيات قرآنية متفرقة ، فلا بد أن نسلك أحد المسلكين ، أو كلاهما لنخرج باستنتاجات عامة بمعنى أنه من الضرورى عدم الاقتصار فى فهم الآيات الكونية على آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر ولا يتبين إلا فى ضوء بقيه الآيات الأخرى الواردة فى الظاهرة الكونية فى أنحاء متفرقة من سور القرآن .

وننصح أنفسنا وكافة العلماء شرعيين وغير الشرعيين باتباع ما هو معروف فى منهج التفسير الموضوعى . إذ تجمع فيه الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد وتدرس أمام بعضها .

٨- التزام شروط التأويل : ومنه عدم العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى فهم الآيات الكونية الواردة فى القرآن إلا إذا قامت القرائن الواضحة التى تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه ، فتكون قرينة دالة على أن معناه الظاهر غير مراد الشارع الحكيم فنؤل اللفظ على سبيل الاحتمال[١] .

قال د/ محمد أحمد الغمراوى ينبغى إلا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التى لا تزال موضع فحص وتمحيص ، **إن الحقائق هى سبيل الحق هى كلمات الله الكونية ينبغى أن يفسر بها نظائرها من كلمات القرآنية الله أما الحدسيات والظنيات فهى عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للأبطال فى أى وقت**[٢] .

---

(١) انظر الإشارات العلمية فى القرآن بين الدراسة والتطبيق د/ كارم السيد غنيم ص ٢٨٤ - ٢٩٠ ط/ الفكر العربى بالقاهرة .

(٢) الاسلام فى عصر العلم د/ محمد أحمد الغمراوى صـ٢٢٣ ط ١٩٧٣/١ .

الخاتمـــة

نلاحظ مما سبق انقسام العلماء فى هذه القضية إلى فريقين

(فريق يأخذ بتحكيم المصطلح العلمى فى القرآن وحمل عبارة القرآن على وجه يطابق ما وصلت إليه علوم العصر) باعتبار أن القرآن موسوعة لكل العلوم ما جد منها ويجد وبالغ بعضهم حتى جعل من القرآن الكريم إعجازاً علمياً باشتماله على كل المخترعات والمستحدثات .

(بينما الفريق الثانى ينكر هذا الاتجاه) ويفرق بين الحقيقة الدينية الى اشتمل عليها القرآن وبين النتائج العلمية المختلفة التى هى نتائج العقول البشرية القاصرة[١] .

وبالتأمل فى أقوال الفريقين يتضح أن القائلين به بقدر ما يفعلون من ذلك يضيفون إلى أمجاد القرآن أمجاداً ، وإلى براهين صدقة شيئاً جديراً .

والمعرضين له يقولون إن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير وهم لا يديرون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير ، وكفى القرآن شرفاً ومجداً أنه حث على العلم والبحث والنظر ولم يقف حجر عثرة فى سبيل التقدم العلمى والفكرى[٢] .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع : أننا نتخذ سبيلاً وسطاً بين الفريقين فالذين أقحموا تفسير آيات القرآن بالنظريات العلمية وأن القرآن موسوعة لكل العلوم ما جد منها وما لم يجد مجانبون للصواب والذين منعوا الاستفادة من الحقائق العلمية ويؤيدها القرآن مجانبون للصواب إذ أن القرآن فى ذكره لهذه الحقائق لم يقصد أن يعلما مثلاً الكيمياء والفيزياء أو الهندسة أو الطب بل لهذا شكل فنى علمى

---

(١) اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث عفت الشرقاوى ط١٩٧٢ صـ ٣٧١ .

(٢) العلم والإيمان فى بناء المجتمعات لعبد الغنى عوض الراجحى ط مجمع البحوث الإسلامية صـ ٢٢٣ .

ذات موضوع خاص به والقرآن يقصد من ذكر ذلك تقرير حقيقية الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد الذى خلق هذا الكون وأحسن خلقه والحقيقة العلمية إنما هى تكون عبرة وعظة وإرشاداً .

فيجب علينا أن لا نتجاهل الحقائق العلمية فى القرآن وكذا لا نلتمس لكل مسألة علمية آية من كتاب الله . وإنما نتخذ طريقاً وسطاً .

وبعد يجب علينا أن نرشد أبناءنا إلى ما جاء فى القرآن الكريم من قيم ومبادئ علمية عظيمة تدعوا إلى الإيمان والاستنارة والتقدم معاً حتى يمكن أن نبنى جيلاً قادراً على العمل والإبداع فى إطار إسلامى .

ويجب علينا أن نبين لابنائنا إن الإسلام هو دين العلم منذ أول القرن السابع الميلادى منذ مجئ الإسلام خرج العرب المسلمون من جزيرتهم يحملون رسالة عالمية تخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ، فأحدث الإسلام ثورة فكرية حضارية لما احتواه من ثراء روحى وفكرى وعلمى واجتماعى ولغوى فخلق حضارة عظيمة فى علوم الدين واللغة ونظم الحكم والعلوم التجريبية الحديثة .

ويجب علينا أن ندرك ما يتوصل إليه العلم من اكتشافات ليست دليلاً على القرآن، ولكن ما ورد فى القرآن الكريم هو الدليل الثابت . فالحقائق العلمية الواردة فى القرآن الكريم يكشف عنها العلم يوماً بعد يوم وإن كتاب الله تضمن من الحقائق ما يبهر العلماء والمفكرين فى العلم كله " **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** "(١) .

هذا والله أعلى وأعلم،،،

إعداد
الفقير إلى الله تعالى
مجدى عبد الستار أحمد عثمان
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة

---

(١) الآية ٩٣ من سورة النمل .

قائمة بأهم المراجع مرتبة هجائياً بعد القرآن الكريم

١- القرآن الكريم. قال تعالى: " إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ" (١) " وإِنَّهُ لتنزِيلُ ربِّ العالمين"(٢).

٢- إحياء علوم الدين للغزالى ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .

٣- الأرض والشمس فى منظور الفكر الإسلامى د/ عبد الغنى عوض الراجحى ط الأهرام التجارية .

٤- الإسلام فى عصر العلم د/ محمد أحمد الغمداوى ط ١ سنة ١٩٧٣ هـ .

٥- الإسلام والطب الحديث د/ عبد العزيز إسماعيل ط الاعتماد

٦- الإشارات العلمية فى القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق د/ كارم السيد غنيم ط دار الفكر العربى القاهرة .

٧- إعجاز الطبى فى القرآن د/ السيد الجميلى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر

٨- اتجاهات التفسير فى العصر الحديث لعفت الشرقاوى ط ١٩٧٢ .

٩- البحر المحيط لأبى حيان ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض.

١٠- البرهان فى الجواب عن بعض شكل أى القرآن د/محمد عبد الحافظ ط ١٤١٦هـ

١١- البرهان فى علوم القرآن للزكشى ط دار المعارف .

١٢- التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور ، ط الدار التونسية للنشر والتوزيع.

١٣- تفسير الطبرى للإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، ت ٣١٠ هـ ، ط دار الفكر .

---

(١) سورة الواقعة الآية : ٧٧ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ١٩٢ .

١٤- التفسير العلمى للقرآن الكريم د/ عبد العزيز دردير .

١٥- التفسير العلمى للقرآن فى الميزان رسالة دكتوراه للدكتور أحمد عمر أبو حجر ط دار قتيبة .

١٦- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل بى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، ت ٧٧٤ هـ ، ط دار القلم ، ط الشعب .

١٧- التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبى ط مكتبة وهبة .

١٨- جريدة الجمهورية ١٥/٤/١٩٩٤ م .

١٩- جواهر القرآن لأبو حامد الغزالى ط كردستان سنة ١٣٢٩هـ .

٢٠- حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ط مصطفى الحلبى.

٢١- صحيح البخارى بشرح فتح البارى ط الريان .

٢٢- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى بشرح النووى ط المطبعة المصرية - ط بيروت .

٢٣- ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ط دار الشروق .

٢٤- العلم والإيمان فى بناء المجتمعات لعبد الغنى عوض الراجحى ط مجمع البحوث الإسلامية .

٢٥- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ ط مكتبة الغزالى .

٢٦- مجلة المسلمون تحت عنوان التفسير العلمى للقرآن العدد الأول سنة ١٤٠٢هـ

٢٧- معجزة القرآن للشعروای ط الثانية ١٩٨٢ م .

٢٨- مفاتيح الغيب للفخر الرازى .

٢٩- مفاهيم تجديد للأستاذ أمين الخولى ط دار المعرفة ١٩٧٨ .

٣٠- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط دار المعرفة بيروت .

٣١- مناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقانى ط الحلبى .

٣٢- الموافقات في أصول الأحكام للشاطبى ط دار المعرفة .

****